المحاضرة -6-

المثقف و السلطة

الجزء الثاني

موقف المثقف من السلطة :

كان موضوع السلطة من هواجس النص الابداعي الجزائري الذي أظهر موقف المثقف الروائي منها ،فقد جسّدت النصوص الروائية ـ بعد الاستقلال - مشروعية الاختيار الاشتراكي ،أيّدته نصوص و عارضته أخرى باحتشام.

و لكن منذ سنة 1988 جاء الواقع الجديد المتعدد الرؤى ،فظهرت أصوات فكرية تتبنى المشروع السلفي ،و تراه اتجاها تنشد من خلاله التطور و الارتقاء بالوطن ،في مواجهة أصوات أخرى ترى في الأفكار الحديثة مسلكا وحيدا لإحداث الطفرة الحضارية المنتظرة.

فظهرت النصوص العاكسة لكل هذه المتناقضات على كل المستويات في محاولة لصياغة رؤيتها الفكرية جماليا و بدت هذه الصياغة متفاوتة ،بحكم تلهف بعض الأصوات على تحطيم طل الرؤى السلطوية دون تأصيل للبديل مما يدل على أنها دعوة الى أفكار محددة.

و نجد أن أغلب الروايات الحديثة ارتبطت بصورة المثقف الرافض للسلطة المقاوم للعنف كأساس لوجودها من جهة و الرافض للعنف الارهابي الاسلامي الفظيع في مواجهة السلطة هذا العنف الذي أدى الى واقع مأساوي عانى منه المجتمع معاناة قاسية.

و لكن مع هذا فان بعض المبدعين حاولوا تأصيل الواقع الجديد و دراسته و تأمله لتفكيك اشكالاته و افرازاته و باعتبار الروائي (الطاهر وطار) كان مواكبا للحظتين الحضاريتين المختلفتين ،سنعتمد على نصه الروائي (الشمعة و الدهاليز) لتوضيح موقف المثقف مما يعيشه الوطن من أحداث ،حيث نجده التفت الى الواقع الجديد و قدمه متخيله الروائي بتميز واضح ،مثلما تميزت نصوصه الأولى التي أرخت و واكبت مراحل انجاز البناء الاشتراكي للوطن في ظل النموذج الذي كان ايجابيا في رأيه و الذي انهار فجأة.

فهو لم يتخل عن دوره الريادي حين تحولت الأزمنة التاريخية ،حيث وجدنا تحولا لديه في انتقاله الى اظهار الصراع في الزمن الجديد ،ليصل الى تأويل مفهوم الثورة و الوطنية و السلطة و التاريخ ,قدم (الطاهر وطار) صورة المثقف الحائر في 'نص الشمعة و الدهاليز ' و التي رصدت منعطفا هاما في تاريخ الجزائر المعاصرة

(أحداث 1988) التي افرزت النقد الفكري للساحة الوطنية و الديمقراطية .. و كان سؤالها المركزي الآني : ماهية السلطة هل ستكون سلطة دينية ؟ أم ستكون جمهورية علمانية ؟....

فوجدنا (الطاهر وطار) يقدم في روايته بطلا مثقفا حائرا بين ولائه للسلطة التي كانت النموذج الأمثل أم الابتعاد عنها لعدم قدرتها على مواجهة الواقع الجديد؟

هنا أبرز حيرة المثقف الممزق بين ما كان تاريخا ـ زمن الرؤية الاشتراكية ـ و ما أصبح حاضرا صعود الرؤية السلفية ما أحدث ذالك من اختلاف في الرؤى بين التيارات ،تيار مشروعية السلطة الدينية ،و تيار يلحّ على ضرورة بناء السلطة على الفكر و العلم.

و لم ينس الاشارة الى موقف المفكر الفرانكفوني الذي رآه بعيدا عن طموحات الطبقات الفقيرة في مقابل تفاعل و عزف التيار السلفي على احتياجاتها.

وجدنا الروائي يحاول اعطاء الواقع بعدا عربيا اسلاميا توافقيا ،يحاول أن يجعله متناسبا و منظوره الخاص الذي وجدناه متضمنا في نفسه حين لمسنا الحنين الى الفترة الجميلة في نظره ،فترة هيمنة الرؤية الواقعية الاشتراكية و شعرنا بافتقاره لهذا الواقع المميز بعد ان اندثر ليفسح المجال الى الانفتاح ،فكان موقفه هو محاولة التقريب بين الرؤيتين دون اقصاء. و كان هذا بداية لنقد السلطة الحاكمة للقضاء على حيرة المجتمع أمام تعدد المرجعيات ،و قدم فهما للسلطة اعتمادا على قراءة نقدية للتاريخ ،حيث ناقش هذا النص (الشمعة و الدهاليز) اذن افرازات المرحلة الحضارية و حاول تأويل أزمة الصراع على مشروعية السلطة.

فكان مقربا بين مرجعية 'بطل' روايته الماركسية و الحركة الاجتماعية ،و سعى الى الايحاء بانتمائه و هويته من خلال التاريخ ـ حين ذكر القيادة السياسية الثورية ـ جبهة التحرير الوطني ـ ،و حاول التدليل على انتمائه باعتزازه بالهوية الوطنية التي تشكل أحد أهم أبعادها اللغة الوطنية العربية حين سمى الباخرة في روايته 'القيروان' في مقابل سيادة لغة المستعمر كما ذكر 'جمعية العلماء المسلمين الجزائريين' في اشارة الى الوعي السياسي و العلمي الذي نشرته و كان يمثل دورها في الاعداد للثورة.

فالملاحظ اذن على النص الروائي أنه صور الواقع الجزائري آنذاك و تفاعل مع احساس المثقف المفروض أن يقوم بالتغيير الذي فرضته الظروف الجديدة و الظواهر الاجتماعية التي أفرزتها الأزمة التي عانت منها الجزائر في تسعينات القرن الماضي.

حملت الرواية اذن انطباعات كتابها و آرائهم و مواقفهم اتجاه ما يحدث ،فعالجت موضوع المثقف الذي كان يمثل صوت الرفض للتغير السلبي الذي يحدث في المجتمع فكان يعيش الأزمة و يندد بها.

نرى أن الكثير من المثقفين من أدباء و صحافيون و مفكرون جاهروا برأيهم و فضحوا الجرائم المفزعة فكان الرد عليهم قويا و عنيفا ،و كان عقابهم شديدا.

أوضحت الرواية الجزائرية اذن موقف المثقف و صوّرت ما حدث له من آلام و أحداث حزينة و لعل رواية الأديب (بشير مفتي) (المراسيم و الجنائز) خسر مثال على تصوير ما تعرض له المثقف آنذاك.

فعنوان الرواية يوحي بجو الحزن و الكآبة من خلال عطف كلمة الجنائز على المراسيم حيث تواجهنا كلمة 'المراسيم' بطريقة توحي بالحزن و الأسى اتبعها بكلمة الجنائز التي ترسم الحزن و البكاء و الفقد...

فقد توافقت هاتان الكلمتان في صيغتهما الصرفية و النحوية مما أعدنا للدخول في جو المأساة التي عايشتها الجزائر سنوات الدم و الدمار.

فالعنوان يؤكد الموت و يعمق طبيعة المأساة و الصور المؤلمة التي تزخر بها الرواية و التي تشي بقدرة المبدع على تجاوز صدمة الأحداث الفظيعة و عبّر و وصف ما رآه في الواقع بكل جرأة حيث تخلص من خوفه و هواجسه ،فخاض تجربة روائية صعبة ـ كثير من الروايات مثل هذه الرواية صورت المحنة الوطنية ـ وصور العنف بكل أنواعه ، فقصة شخصية 'وردة فاسي' التي لم تستطع مقاومة المال و هي الفقيرة المعدمة حاولت بكل ما تملك التخلص من ماضيها لكن انتهت حياتها بالانتحار ،و قصة شخصية المجاهدة 'رحمة' التي انفجرت قنبلة بجانبها انتهت بهذا بانفجار حياتها التي قضتها مهمشة فكانت ضحية كونها مثقفة تكتب الشعر.

يظهر العنف كذالك في قصة 'حميد تامر' الذي يقضي مدة الخدمة الوطنية فيواجه الفجائع و الرعب الأمر الذي ينتهي به الى الانهيار العصبي.

الرواية محملة بقصص العنف : عنف الخطب النارية ،عنف السيارات المفخخة ،الذبح و أشلاء الأجساد ،كثرة الجثث ،نوح الأرامل ،صراخ اليتامى ،و عويل الثكالى ،و عنف التهميش و قانون المال. عدّد صور العنف و يتساءل عن موقع المثقف منها و هو الذي يروم العيش بسلام ،و كل هذه الأحداث تثقل كاهله و تنغص حياته.

الرواية نقلت لنا جوانب الأزمة بواسطة اللغة و الصورة الواقعية المملوءة بالصراع بين الاسلاميين و السلطة ،و كل منهما يرى مشروعية وجهة نظره بطريقة بتاء مستقبل الجزائر.

يصور لنا بعض الأمل في صورة المجاهدين الأنقياء و المهمشين و الذين مازالوا يحافظون على القيم التي مات من أجلها الشهداء ،صوّر لنا الروائي في نصه ككل موقف المثقف الذي وقف حائرا أمام حرب لم يتوقعها و لم تكن لديه الفرصة للتأمل ،ولدت فجأة في زمن المتناقضات فهو يقول أنه لو كان للحوار و التنازل من الطرفين مجال لما حدثت المأساة.

تعرض الرواية خوف و قلق و حيرة المثقف الجزائري و تكشف حالته أمام الأزمة فكيف ينتج نصا يرضي كل الأطراف؟ فهو بين نارين نار السلطة و نار الارهاب العنيف.

كما صوّر مسألة الانتماء الحزبي و القلق الذي شكله للمثقف أثناء العشرية السوداء و ما يتبعه من التزامات في الرأي و الموقف الذي يتخذه ،فظل حائرا بين البقاء أو الهروب.

و لكن يتساءل هل كتاباته تغير الواقع المفجع؟ هل يستطيع أن يقدم ما يجب تقديمه للمجتمع؟ هذه الأسئلة أدّت الى زيادة حيرة المثقف و قلقه ،و ما عليه أن يفعل ،هل ينتحر؟ هل يختبيء في منزله؟ هل ينتظر الموت؟ و هل الحل يكمن في الهروب؟

يوضح عبر أحداث الرواية بعد ذالك عدم جدوى الهروب ،و يؤكد أن الكثير من المثقفين هربوا و هزموا و لم يقدموا شيئا للقضية بل تورطوا مع جهات أجنبية جعلتهم في موقف ضعف أمام المعارضة و السلطة.

و كانت هذه الصورة للمثقف الرافض المنتقد للسلطة المعارض لها ،بل الرافض لرموزها و فساد نظامها لأنه يعتبرها مصدر الخلل في المجتمع ،و الرافض كذالك للإرهاب الأعمى باسم الدين للوصول الى السلطة صورة طاغية في الابداع.

خاصة و أن الارهاب سلّط سيفه على هذا المثقف لأنه واجه الأزمة بشجاعة و عبر عن مأساوية المرحلة بشجاعة كذالك تجلت جرأة وعيه هذه من خلال ادانة الارهاب و العنف و ادانة استعمال الدين لخدمة الارهاب و رفض السلطة. و مع هذا فان المثقف لم يتخل ابدا عن دوره ،و وقف متصديا لكل ما يمكن أن يعيق مسيرة المستقبل التي انطلقت و يجب أن تستمر. و لهذا يمكننا القول أن الرواية تعكس راهنها مما يعني أن النص الروائي مازال مرتبطا بواقعه مثلما كان دائما.

<u>الهدف العام للمحاضرة :</u>

- صورة المثقف في الكتابة الروائية

- توضيح موقف الروائي من السلطة من خلال نصه

- تصوير الرواية لحيرة المثقف بين الايديولجيتين

المراجع:

ـ المثقف و السلطة ادوارد سعيد ترجمة محمد عناني . رؤية للنشر و التوزيع .

- تصدع صورة المثقف في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر " الشاذ" لربيعة مراح نموذجا براهمية زينة مجلة العلامة المجلد 5 العدد 1 قسم اللغة العربية جامعة العربي التبسي تبسة الجزائر

ـ صورة المثقف في الرواية العربية : قراءة في ثلاثية أحلام مستغانمي مجلة قراءات العدد 8 جامعة بسكرة 2016

ـ صورة المثقف و دوره الثوري في الرواية الجزائرية سماح بن خروف مركز الوفاق الانمائي للدراسات والبحوث

انشطة التقويم :

- اسئلة حول الأفكار الرئيسية في المحاضرة

- كتابة مقال حول صورة المثقف في الابداع وتوضيح موقفه من السلطة